التراكيب النحوية – دلالاتها و علاقتها بصناعة النص الشعري لدى أبي العلاء المعري

د. محمود محمد محمود النور*

الملخص:

تناول هذا البحث بعضًا من تراكيب أبي العلاء المعري التي تنبني عليها جملته الشعرية، و الدلالة المعنوية التي تؤديها هذه التراكيب، إلى جانب توظيفها في صناعة النص لديه، حيث يظهر من خلال النظر الدقيق إلى البناء الجملي الذي يتألف منه نص أبي العلاء الشعري أنه يوظف التراكيب النحوية ليحقق غايتين:

الأولى: دقة التعبير في إحكام التركيب لبلوغ أعمق المعاني و أجلها.

الثانية: صناعة الروعة الفنية إلى جانب رقة الحس و الذوق المتمثلتين في طرافة التصوير الخيالي و لطف علاقاته.

وأبرز ما توصل إليه البحث أن أبا العلاء المعري عندما يخرج عن الأصل في ترتيب عناصر جملته الشعرية فإنه بذلك يقصد إلى تحقيق معانٍ إضافية لا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق مخالفة الأصل في ترتيب عناصر الجملة، هذا إلى جانب تفرد النص الشعري لديه بتوظيف بعض المفردات توظيفًا يختلف عن ما شاع في الشعر العربي بصورة عامة، ككثرة استخدامه للضمير (أنا و نحن) في غير الفخر وتعظيم الذات الفردية والجماعية، فلا تجد الضمير (أنا) مثلًا مبتدأً به إلا ووجدت الخبر غالبًا مملوءًا بالحزن و إظهار الأسى والتضجر من الناس والدنيا والزمان، و قد حاول البحث إيجاد تفسير لذلك في بعض المواضع.

* جامعة الإمام المهدي – كلية الآداب.

محاور البحث:

تتضمن هذه الورقة ثلاثة محاور، و هي:

المحور الأوّل: تعريف موجز بأبي العلاء المعري

المحور الثاني: الجملة الاسمية و دلالاتها في شعر أبي العلاء

المحور الثالث: الجملة الفعلية و دلالاتها في شعر أبي العلاء

أولاً: أبو العلاء المعري في سطور:

يجمع كثير من مؤرخي الأدب العربي و نقاد الشعر القديم على أن أبا العلاء المعري من كبار الأدباء و الشعراء الذين أنتجتهم العبقرية العربية، فقد برز الرجل في كثير من فنون الأدب و شارك مشاركة فعالة في تطوير فن الشعر، و في تغذية النقد الأدبي بآراء و أفكار جديدة، و أثرى اللغة العربية بأساليب و عطاءات إبداعية مستمدة من عبقريتها و أصالتها الفريدة.

و يعرف عنه كثير من الناس تشاؤمه واعتداده بنفسه، أما تشاؤمه فيكشف عنه قوله المشهور:

هذا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ *** وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أحد[1]

والحق أن المعري لم ينصف – في بيته المذكور – نفسه و لم ينصف أباه، لأن أبا العلاء من جهة شخصه أو من جهة الأبوة كان هدية كبيرة و نعمة من نعم الله التي أنعم بها الخالق سبحانه و تعالى على الثقافة العربية عامة وعلى

[1]ينظر معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، مج 1، ص 396، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م. في الهامش. ولم يرد البيت في دواوينه الشعرية المطبوعة، ونقل الصفدي عن خط أبي علاء الدين الوادعي قال: زرت قبره بالمعرة – رحمه الله تعالى – في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستمائة، ولم أر شيئًا من ذلك: ينظر أبو العلاء المعري و عقيدته: المرحوم أحمد تيمور باشا، ص 14، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، دط، 1940م.

الأدب العربي بوجه خاص، و لم يكن بهذا جناية لا على أبيه ولا على نفســه، و لا أدل على ذلك من عناية الناس به و بأدبه عبر الحقب والعصور، فقد حظيــت شخصيته بوافر الاهتمام و دُرِسَ أدبُه بشقيه من جميع جوانبه و أحــيط تراثــه الإبداعي والفكري بعناية خاصة، لأنه شاعرٌ كبيرٌ، و أديبٌ بارعٌ، ملأ الــدنيا و شغل الناس.

اشتهر الرجل بهذا الاسم المؤلف من الكنية"أبو العلاء"كناه بها آباؤه على عادة العرب، و وردت في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) أبياتٌ يذكر فيها عدم رغبته في هذه الكنية تواضعًا، و من ذلك قوله:

دُعيتُ أَبا العَلاءِ وَ ذاكَ مَينٌ *** وَ لَكِن الصَحيحَ أَبو النُزول[1]

و"المعريّ"،نسبة إلى بلدته معرة النعمان، إحدى ضواحي حمص، قرب حلب، أما اسمه فهو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهَّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن أنور بن أسحم، ينتهي نسبه إلى قضاعة، و قضاعة من عدنان على بعض المذاهب و من قحطان على مذاهب أخرى.

واشتهر أبو العلاء بالفطنة و حِدَّة الذكاء، و الأحاديث في ذلك كثيرة نقلها كل من جمع آثاره، قال ابن العديم:"كان أبو العلاء على غاية من الذكاء والحفظ، و قيل له: بِمَ بلغت هذه الرتبة في العلم؟ فقال: ما سمعت شيئًا وإلا حفظته، وما حفظت شيئًا فنسيته!"[2]

---

[1] – ديوان لزوم ما لا يلزم: أبو العلاء المعري، برواية الإمام التبريزي، ومراجعة الإمام أبي منصور بن الجواليقي، جــ2، ص267، تقديم وشرح وفهرست: وحيد كبابة وحسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1425هــ ــ 2004م.

[2]– تعريف القدماء بأبي العلاء: طه حسين، ص 551، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

وقد عقد ابن العديم فصلًا[1] كاملًا في ذكر ذكاء أبي العلاء و فطنته و سرعة حفظه و ألمعيته و توقد خاطره وبصيرته وقد نُقِلتْ عنه في ذلك قصصٌ و حكايات كثيرة.

عاش أبو العلاء ستًا و ثمانين سنة (86 سنة) في الفترة مابين 363هـ ـ إلى 449هـ مخلفًا وراءه تراثًا علميًّا ضخمًا تمثل في الكتب و الشروح العديدة في شتى المجالات و الفنون، و كان أبرزها مصنفاته في علوم اللغة؛ لأنها الأظهر بين العلوم التي درسها، و قد بلغ عدد مصنفاته ما يزيد على المائتين، و تصانيفه في اللغة و الأدب وحده تزيد على مائتي مجلد هو القائل:

وما أنا إلاّ قَطْرَةٌ مِن سَحابةٍ ** ولو أنّني صَنّفْتُ ألْفَ كِتاب[2]

و هذه التصانيف العديدة تكشف قدرة الرجل و براعته و حذقه في كثير من العلوم و الفنون، و قد أوردها المؤرخون بترتيب حروف المعجم في صفحات عديدة، و يوجد بين أيدينا الآن من شعر أبي العلاء المطبوع ديوان سقط الزند، و ديوان الدرعيات، و ديوان اللزوميات، أو ولزوم ما لا يلزم، و يمثل ما فيها من شعر أطوارًا مختلفة بدأت منذ أيام الصبا و امتدت إلى آخر عمر شاعرنا – رحمه الله –.

المحور الثاني: الجملة الاسمية ودلالاتها في شعر أبي العلاء

الجملة الاسمية بصورة عامة جملة واسعة الانتشار في النصوص الفصيحة، ويحدها العلماء بأنها الجملة التي يكون مناط الاهتمام فيها موجهًا للاسم، وعلى ذلك يرتكز العلماء والباحثون في التفريق بينها و بين الجملة الفعلية، فالجملة تكون اسمية أو فعلية بحسب ما يتوجه إليه الاهتمام فيها، أو ما يكون هو سبب إنشاء الكلام، فإذا كان الاسم موضع الاهتمام، و عليه يدور

[1] – نفسه، ص 551 وما بعدها.

[2] – ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعري، ص252، دار صادر، بيروت، دط، دت.

الحديث، وهو سبب إنشاء الجملة ابتداءً كانت الجملة اسمية، لأن الاسم يتقدم فيها ثم يتبعه الإخبار عنه سواء كان الخبر اسمًا أو فعلًا. و إذا كان الحدث أو الفعل هو موضوع الكلام، وهو مناط الاهتمام تقدم الفعل، وصارت الجملة فعلية، وعلى ذلك يقول ابن هشام:"مرادنا بصدر الجملة المسند و المسند إليه فلا عبرة بما تقدم عليهما من حـــــروف، فالجملـــــة من (أقائمٌ الزيدان) و(أزيدٌ أخوك) و(لعلَّ أباك منطلقٌ) و(ما زيـــــدٌ قائمًا): اسمية. و من نحـــو: (قام زيدٌ، و إن قام زيدٌ، و قد قام زيدٌ، و هلاَّ قُمْتَ): فعلية"[1].

والجملة الاسمية على قسمين وتحت كل قسم فروع وأنماط عديدة، فالقسم الأول: الجملة الاسمية الأساسية، وهي جملة المبتدأ والخبر، وهما الركنان اللذان انصبت عليهما دراسة القدماء، وأوردوا لهما تعريفات عدة، قال سيبويه:"المبتدأ كل اسم ابتدئ به ليبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفعٌ، فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند و مسند إليه"[2] وقال الزمخشري عن المبتدأ والخبر: "وهما الاسمان المجردان للإسناد، نحو قولنا: زيدٌ منطلقٌ، والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي كان وإن وحسبت وأخواتها... وإنما اشترط في التجريد أن يكون من أجل الإسناد لأنهما لو جـــُرِّدا لا للإسناد لكانا في حكم الأصوات"[3] و قال ابن يعيش

---

[1]– مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هاشم الأنصاري، ص364، حققه مازن المبارك و محمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـــ– 1999م.

[2]. الكتاب: سيبويه، جـــ2، ص 126، بتعليق وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـــ، 1999م.

[3]. شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش، جـــ1، ص 83، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.

في الشرح:"اعلم أن المبتدأ هو كل اسم ابتدأته و جردته من العوامل اللفظية للإخبار عنه"[1]

و قد لخص عباس حسن في كتابه النحو الوافي تعريفًا مجملًا لكل من المبتدأ والخبر حيث قال:"المبتدأ القياسي هو: كل اسم مرفوع في أول جملته، مجرد من العوامل اللفظية الأصلية، محكوم عليه بأمر، و قد يكون مستغنيًا بمرفوعه في الإفادة وإتمام الجملة"[2]. وعن الخبر قال:"هو: اللفظ الذي يكمل الجملة مع المبتدأ و يتمم معناها الأساسي بشرط أن يكون المبتدأ غير وصف"[3].

والقسم الثاني من قسمي الجملة الاسمية هو الجملة الاسمية المنسوخة، وتندرج تحتها كل الجمل التي يدخل عليها ناسخ، وليس بالإمكان تتبع كل هذه الأقسام بتفريعاتها وأنماطها موضعًا موضعًا في شعر أبي العلاء في هذه الدراسة الموجزة، ولكننا سنقف عند أبرز صور التركيب في شعره من خلال النماذج الشعرية التي سيتم اختيارها ضمن فرعين هما الضمير، والمضاف، من جملة المعارف الستة من أفرع الجملة الاسمية.

الأول: الضمير المبتدأ به و المخبر عنه بنكرة:

الضمير هو أحد المعارف الستة، و هو أعرفها، قال أبو البركات الأنباري: "فإن قيل فما أعرف هذه المعارف؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك فذهب بعضهم إلى أن الاسم المضمر أعرف المعارف، ثم الاسم العلم ثم الاسم المبهم ثم ما فيه الألف و اللام بخلاف غيره من سائر المعارف والذي يدل على أن الضمائر أعرف المعارف أنها لا تفتقر إلى أن توصف كغيرها من المعارف، و هو قول سيبويه. وذهب بعضهم إلى أن الاسم المبهم أعرف المعارف، ثم

---

[1]. المصدر نفسه، ص83.

[2]. النحو الوافي : عباس حسن، جـ1، ص 442، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، دت.

[3]. المرجع نفسه، 442.

المضمر، ثم العلم، ثم ما فيه الألف و اللام، وهو قول أبي بكر بن السراج. وذهب آخرون إلى أن أعرف المعارف الاسم العلم، لأنه في أول وضعه لا يكون له مشارك به، ثم المضمر ثم المبهم، ثم ما عرف بالألف واللام، فأما ما عرف بالإضافة فتعريفه بحسب ما يضاف إليه من المضمر، والعلم، و المبهم، وما فيه الألف و اللام، على اختلاف الأقوال"[1].

و في هذا الفرع من التركيب جملٌ عديدةٌ في أبيات متفرقة في شعر أبي العلاء منها الضمير أنا مخبرٌ عنه بنكرة كقوله:

أَنَا للضّرورة فِي الحياةِ مُقارِنٌ ** ما زلتُ أسبحُ في البحورِ المُوّجِ[2]

والجملة المعنية في البيت قوله: (أنا للضرورة في الحياة مقارن)، حيث بدأ الجملة بالضمير (أنا) و أخبر عنه بمفرد منكر وهو (مقارن)، وقد فصل الجارَّين والمجرورين (للضرورة) و(في الحياة) بين المبتدأ وخبره.

و ورد المبتدأ متلوًّا بخبره دون فصل في مواضع أخرى منها قوله:

أَنا جاهِلٌ إِلّا بِأَمرٍ واحِدٍ *** ما عالَمي هذا بِأَهلِ تَأَنُسِ[3]

و قوله:

أَنا أَعمى فَكَيفَ أُهدَى إِلى المَنَـ *** هَجِ و الناسُ كُلُّهُم عُميانُ[4]

فالجملتان في هذين البيتين وهما (أنا جاهل)، و(أنا أعمي) جاء في كلتيهما المبتدأ متلوًّا بخبره دون أن يفصل بينهما فاصل و الجمل في الأمثلة السابقة جميعها مثبتة، ووردت في هذا التركيب جمل قليلة منفيّة، كقوله:

---

[1]أسرار العربية: كمال الدين أبو البركات الأنباري، ص 113، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سورية 1957م.

[2]ديوان لزوم ملا يلزم، جـ1، ص 249.

[3]ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص 649.

[4]ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2، ص 455.

أعومُ البحرَ و الحيتان حولي *** وما أنا مُحسنٌ في ذاك عومي[1]

وقوله:

وَما أَنا يائِسٌ مِن عفوِ رَبّي *** عَلى ما كانَ من عَمدٍ وَ سَهوِ[2]

وورد الضمير (أنا) و الضمير (نحن) بقلة، نحو:

ونحن فوق التراب ثقلٌ *** يكاد من تحتنا يخور[3]

وورد الضمير (نحن) في جمل استفهامية قليلة منها قوله:

أنحن أفضل أم أشياء جامدة *** أضحت سواء لديها العين والأثر[4]

وهذا التركيب كثير شائع في الشعر العربي، أعني ضمير المتكلم أو المتكلمين المخبر عنه بمفرد منكرًا كان أو معرّفًا، إلا أن الملاحظ في شعر المعري كثرة استخدامه في معانٍ ليست بهذه الكثرة في تراكيب الشعراء، فالضمائر (أنا) و(نحن) ونحوها يغلب ورودها في الشعر في باب الفخر و الاعتزاز وتعظيم الذات الفردية أو الجماعية، فلو استقرأنا ذلك في المعلقات السبع ــ على سبيل المثال ــ نكاد لا نظفر إلا بأمثلة محدودة جدًّا لجملتنا السابقة في غير الفخر و استظهار القوة و المجد و العزة أما شواهد الفخر فلا يكلفك العثور عليها كثير عناء من مثل قول طرفة[5]:

---

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2، ص 403

[2] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2، ص 604.

[3] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج 1، ص 411.

[4] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص 403.

[5] هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الشاعر الجاهلي المشهور من الطبقة الأولى صاحب معلقة (لخولة أطلال ببرقة ثهمد)، ولد في البحرين، و تنقل في بقاع نجد، توفي في البحرين مقتولا بأمر من الملك عمرو بن هند سنة 60 قبل الهجرة و عمره عشرون عاماً و قيل خمسة و عشرون. ينظر الأعلام: الزركلي، جـ3، ص225.

أَنا الرَجُلُ الضَربُ الَّذي تَعرِفونَهُ ** خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيَّةِ المُتَوقد[1]

ومعلقة عمرو بن كلثوم[2] تعج بذلك في مواضع كثيرة من نحو:

ونحن الحابِسونَ إِذا عَزَمنا *** و نحن المُقدِمونَ إِذا لَقينا

ونحن المانِعونَ إِذا أَرَدنا *** و نحن النازِلونَ بِحَيثُ شينا[3]

و في غير المعلقات:

أَنا البَدرُ يُعشي طَرفَ عَينَيكَ فَالتَمِس

بِكَفَّيكَ يا ابنَ الكَلبِ هَل أَنتَ نائِلُه[4]

و أيضًا:

أَنا السابِقُ المَعروفُ يَومًا إِذا اِنجَلَت

عَجاجَةُ رَيعانِ الجِيادِ الأَوائِلِ[5]

وعلى عكس ذلك تري المعني عند أبي العلاء، فلا تجد الضمير (أنا) – مثلًا– مبتدأً به إلا و وجدت الخبر غالبًا مملوءًا بالحزن و إظهار الأسى و التضجر من الناس و الدنيا و الزمان، و لا شك أنّ للحياة العامة دورًا في ذلك، فقد كانت سيئة رديئة من الناحية السياسية و الخلقية و الدينية و الاجتماعية، لذلك نجده يذم عصره وأهل زمانه في أشعار كثيرة، و لا غرابة عندئذ أن تكثر

---

[1]شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين أحمد الزوزني، ص 90، مكتبة الرياض الحديثة، دط، دت.

[2] هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، الشاعر الجاهلي المعروف، من الطبقة الأولى شاعر معلقة (ألا هبي بصحنك فاصبحينا)، ولد في شمال الجزيرة العربية، وتوفي في الجزيرة الفراتية عن عمر طويل سنة40 قبل الهجرة، ينظر الأعلام: الزركلي، جـ5، ص84.

[3]شرح المعلقات السبع: الزوزني، ص 182.

[4]ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، ص 504، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1407هـ ـ 1987م.

[5]ديوان الفرزدق، ص476.

هذا الضمائر في تراكيب تكون السمة الغالبة فيها هذا الضرب من التعبير، ولــك أن تعيد قراءة بيته:

أَنا أَعمى فَكَيفَ أُهدى إِلى المَنَــ *** هَجِ و الناسُ كُلُّهُم عُميانُ[1]

فهو يحكم على الناس بأنهم عميان البصيرة، وهو أعمى البصر، لذلك لا يستطيع هدايتهم، وللمنتقد الحق في أن يقول عمي البصر لا يمنــع مــن هدايــة عميان البصيرة، و لكنّ أبا العلاء كان شديد الميل إلى الإخبار بعلته التي لطالما بكي و اشتكى من آثارها، و أول قصيدته التي منها البيت يصور بجــلاء هــذا التشكي.

كُلُّ ذِكرٍ مِن بَعدِهِ نِسيانُ *** وَ تَغيبُ الآثارُ و الأَعيانُ

إِنَّما هَذِهِ الحَياةُ عَناءٌ *** فَلِيُخَبِّرْكَ عَن أَذاها العِيانُ[2]

فكل مذكور مصيره النسيان، وكل مذكور سيصير إلــى الــزوال، وإذا سألت عن خبر هذه الحياة فأسأل عن شرورها وأذاها... وهكذا يصــور الحيــاة فهي ليست إلا شرورًا وأذى، والقصر في أول البيت الثاني يتضافر مع المعنــي لتقوية هذا القصد (إنما الحياة عناء).

ولا يعني هذا بحال أن أبا العلاء لم يفتخر، بل في شعره من هذا التركيب ذاته قوله:

يهم الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ ** ويثقل رضوى دون ما أنا حاملُ

وإني و إن كنتُ الأخير زمانه *** لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ[3]

---

[1]ديوان لزوم ما لا يلزم جــ2، ص 455، والبيت من قصيدة من البحر الخفيف، وفيه اختلال في الوزن.

[2]ديوان لزوم ما لا يلزم، 2، ص 454.

[3]ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعري، ص193.

ولكنه ليس ميّالًا إلى ذلك أو كما تقول الباحثة ميسون محمود فخري"مهما فخر أبو العلاء بنفسه، فإنه لم يكن يتجاوز الحد الأعظم في الحديث عن نفسه مقارنة بغيره من الشعراء، و السبب في ذلك يعود إلى أن طبيعة أبي العلاء لم تكن بطبيعة الرجل الفخور"[1]. هذا إلى جانب ما ذكرنا سابقًا من أسباب.

ثانيًا: المضاف:

الإضافة عند النحاة قسمان: إضافة محضة و تسمي أيضًا إضافة معنوية و هي التي تفيد المضاف تعريفًا إذا كان المضاف إليه معرفة مثل (جاء غلام زيد) وتخصيصًا إذا كان المضاف إليه نكرة مثل (هذا ثوب امرأة)، و القسم الثاني: الإضافة غير المحضة أو الإضافة اللفظية، و هي التي لا تفيد المضاف تعريفًا و لا تخصيصًا، و إنما يُجاءُ بها للتخفيف في اللفظ، و ضابطها أن يكون المضاف وصفًا عاملًا يشبه الفعل المضارع مثل (هذا مضروب الأب)[2]، و يعرف العلماء الإضافة بأنها نسبة تكون بين اسمين مقترنين على تقدير حرف جرٍّ ذي معنى بينهما"[3]و يلجأ الشاعر أو الكاتب إليها لسبب من الأسباب التي تعرض له و ذلك:

- أن يتخذها طريقًا للاقتصار في مقام يقتضي ذلك.
- أو يستغني بها عن تفصيل متعسر أو غير ممكن.

---

[1]النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري، ص26، (رسالة ماجستير) إعداد ميسون محمود فخري، إشراف أ.د. إبراهيم الخواجة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين 1426هـ، 2005م.

[2]ينظر شرح ابن عقيل، ج2، ص34 ما بعدها

[3]– البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها و صور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف و تليد، تأليف و تأمل: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ج1، ص447، دار القلم دمشق و الدار الشامية بيروت، ط1، 1426هـ–1996م.

– أو يتخذها ذريعة للتعظيم أو التحقير أو يضمنها معنىً يشار إليه بها كالتحريض على الإكرام نحو: هذا صديقك يزورك، أو التحريض على الإهانة و الإذلال نحو: هذا عدوك مقبل إليك، أو التحريض على البر نحو: هذا أبوك الذي رباك، أو إرادة الاستهزاء و التهكم[1]. كأن تقول: هذا رئيسنا أو زعيمنا و أنت تقصد الاستهزاء، ونحو ذلك.

و للمبتدأ المضاف المخبر عنه بمعرفة أمثلة كثيرة جدًّا في شعر المعري و تتنوع صور المضاف، من مضاف إلى ضمير و مضاف إلى اسم ظاهر، أو اجتماع أكثر من مضاف و نحو ذلك، و أكثر الصور شيوعًا في هذا الفرع كانت من بناء:

مبتدأ مضاف إلى ضمير (ناء) + خبر معرّف بالألف و اللام

ومنه:

مَحمودُنا اللَهُ و المَسعودُ خائِفُهُ *** فَعَدِّ عَن ذِكرِ مَحمودٍ وَ مَسعودِ[2]

ومبتدأ مضاف إلى مضاف إلى ضمير (الكاف) + خبر مضاف إلى معرّف بالألف و اللام و منه:

آناءُ لَيلِكَ و النَهارُ كِلاهُما *** مِثلُ الإِناءِ مِنَ الحَوادِثِ مُفعَمُ[3]

ومبتدأ مضاف إلى ضمير (ياء المتكلم) + خبر مضاف إلى ضمير (ياء المتكلم) و منه:

ثِيابِيَ أَكفاني وَ رَمسِيَ[4] مَنزِلي *** و عَيشي حِمامي و المَنِيَّةُ لِيَ بَعثُ[5]

---

[1]– البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها: حبنكة، جـ2، ص447.

[2]– ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص353.

[3]– ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2،ص337.

[4] الرمس: القبر، ينظر لسان العرب، جـ6، ص 101. مادة(رمس).

[5]– ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص223.

و مبتدأ مضاف إلى ضمير (ياء المتكلم) + خبر مضاف إلى معرّف بـــالألف و اللام و منه:

حالِيَ حالُ اليائِسِ الراجي *** وَ إِنَّما أَرجِعُ أَدراجي[1]

و مبتدأ مضاف إلى ضمير (هم) + خبر مضاف إلى ضمير (هم)

مَغافِرُهُمْ تِيجانُهُمْ وحُبَاهُمُ *** حَمائِلُهُم و الفَرْعُ يُنمى إلى الجِذْمِ[2]

و مبتدأ مضاف إلى ضمير (هم) + خبر مضاف إلى معرّف بالألف و اللام

ذُيولُهُم كَثيراتُ المَخازي *** لِما فَقَدوهُ مِن نُصحِ الجُيوبِ[3]

هذه هي الصور الأكثر شيوعًا في هذا الفرع و يرد في صـــور أخـــرى فيأتي المبتدأ مضافًا إلى اسم إشارة أو إلى الضمير (ها) أو غيرها نحو قوله:

مَصائِبُ هَذِهِ الدُنّيا كَثيرَةٌ *** وَ أَيسَرُها عَلى الفَطينِ الحِمامُ[4]

و أكثرُ توظيفٍ للإضافةِ من الأبيات السابقة ظهر في قوله:

ثِيابِيَ أَكفاني وَرَمسِيَ مَنزِلي ** وَ َيشي حِمامي و المَنِيَّةُ لِيَ بَعثُ

فقد أضاف إلى نفسه الأكفان و كذلك الرَّمس– و هو القبر– ثم العيش و الحِمام و أفرد المنية عن الإضافة، و مراده: أن الثياب التي يلبسها هـــي أكفانـــه والمنزل الذي يعيش فيه هو القبر أو كالقبر والعيش إنما هو الموت، أما المـــوت الحقيقي فذاك هو الحياة بالنسبة إليه.

وتظهر قوة الدلالة في إضافة الأكفان والثياب والرَّمس والمنزل والباقي وإفراد المنية، في أنه – لتأكيد المعنى و تقوية تأثيره – أضاف كل ما هو غيـــر حقيقي إلى نفسه، وأفرد الكلمة الوحيدة الدالة على معناها الحقيقي– وهي المنيـــة

[1]– ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص252.

[2]– ديوان سقط الزند، ص21.

[3]– ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص147

[4]– ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص328.

– عن الإضافة، وذلك لأن الثياب حقيقية ليست أكفاناً و المنازل ليست قبوراً والعيش بالطبع شيء غير الموت، و السؤال لم فعل ذلك؟ والجواب – والله أعلم – أنه لمَّا كان يتكلم عن نفسه خاصة وعكس معاني هذه المفردات لزم عليه إضافتها لنفسه ليؤكد بذلك حقيقة ما يعيشه، وأما المنية فهي معنىً عام، وحقيقة ثابتة معروفة لكل الناس، وموروثة لكل ذي روح، فجعلها مفردة إلى جانب أنها الشيء المفقود بالنسبة إليه، لأنه إذا ما تحقق لديه الموت فذلك يعني أنه بُعِثَ للحياة من هذا الموت الذي هو فيه الآن حسبما يقول، ولذلك جعل المنية غير مضافة إلى نفسه لأنها لم تتحقق، و أخبر عنها بـ(بعث) في آخر البيت.

وليس هذا وحده ما حققته الإضافة في هذا البيت، بل إلى جانب ذلك استطاع أن يكثف المعنى في عبارات موجزة قصيرة لو بسطتها لربما ألّفت قصيدة أو مقطعًا بأكمله، كما أنّ الدور الموسيقي ظاهر في هذا التناغم بين الجمل الثلاثة (ثيابي أكفاني) و(رَمْسِي منزلي) و(عيشي حمامي)، و الله تعالى أعلم.

المحور الثاني: الجملة الفعلية و دلالتها في شعر أبي العلاء:

للجمة الفعلية – بأقسامها و فروعها و أنماطها المختلفة – شواهد كثيرة في أشعار أبي العلاء نختار منها النماذج التالية:

قال:

وأمَّتني إلى الأجداث أمٌّ *** يعزُّ عليَّ أنْ سارتْ أمامي[1]

والأجداث: جمع جدث، وهو القبر[2].

وهذا البيت ثاني أبيات مطولته التي يرثي فيها والدته، لمَّا تلقى خبر وفاتها و هو قادم من العراق و أولها:

---

[1] ديوان سقط الزند، ص 39.

[2] ينظر لسان العرب، جـ2، ص 128، مادة (ج د ث).

سَمِعْتُ نَعِيّها صَمّا صَمَـــامِ *** و إنْ قالَ العَوَاذِلُ لا هَمَامِ
و أمَّتْني إلى الأجْـــداثِ أُمٌّ *** يَعِزّ عَلَيّ أنْ سارَتْ أمامي
و أُكْبِرُ أنْ يُرَثّيها لِساني *** بلَفْظٍ سالِكٍ طُرُقَ الطّعـــامِ
يُقالُ فيهْتِمُ الأنْيابَ قَـــوْلٌ *** يُباشِرُها بأنْبَاءٍ عِظَـــــامِ
كأنّ نَواجِـــذي رُدِيَتْ بصَخْرٍ *** و لم يَمْرُرْ بهِنَّ سِوَى كلامِ
ومَنْ لي أن أصُوغَ الشُّهْبَ شِعْرًا *** فأُلْبِسُ قَبْرَهَا سِمْطَيْ نِظامِ
مَضَتْ و قد اكتَهَلتُ فخِلتُ أنّي *** رَضِيعٌ ما بَلَغْتُ مَدى الفِطامِ[1]

قال طه حسين:"كان لهذا الخبر في نفس أبي العلاء ثورة عنيفة، بذل فيها آخر ما كان يملك من ثقة بالدهر، واطمئنان على الأيام"[2] وكان قد كتب قبل القصيدة رسالة[3] موجزة إلى خاله يشتكي فيها حرارة الحزن، وشدة الألم، وقد سكب فيها كل دمعة حزن وعبرة ألم.

وقوله: (وأمَّتني إلى الأجداث أمٌّ) جملة فعلية فعلها ماضٍ مبني للمعلـــوم وهو (أمَّ) و الفاعل اسم ظاهر نكرة وهو (أمٌّ)، و الضمير الياء في (أمّتني) فـــي محل نصب مفعول به و قد تقدم على الفاعل وجوبًا لمجيئه ضميرًا و الفاعل اسم ظاهر. ولعل قوة حركة الوجدان و حرارة الإحساس بـــالألم و شـــدة الانفعـــال بالفراق الأبدي قد بعث في الشاعر هذا الفوران الذي لا يستجيب التعبير عنه إلا بفعل و ذلك لأن بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعـــــل فرقًا، وأنه – كما يقول عبد القاهر الجرجاني –"فرقٌ لطيفٌ تمس الحاجة في علـــم البلاغـــة إليـــه"[4]، و

---

[1] ديوان سقط الزند، ص 39.

[2] تجديد ذكرى أبي العلاء: طه حسين، ص 150.

[3] ينظر تجديد ذكرى أبي العلاء: طه حسين، ص 150.

[4] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص182، حققه و قدم له الدكتور محمد رضوان الداية و الدكتور فائز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، سوريا، ص ب 3143، ط2، 1407هـــ–1987م.

العلماء يهتمون اهتمامًا واسعًا باختلاف دلالات هذه الصيغ ولهم فيها نظرات تأملية ثاقبة و دقيقة، حيث يفرقون بين دلالة الاسم ودلالة الفعل و بين دلالة الفعل الماضي والفعل المضارع و فعل الأمر، بل يفرقون بين الصيغ المختلفة التي يجيء عليها الفعل الواحد، وكل ذلك يتحدد من خلال"أهمية صيغة الكلمة و إصابتها لموقعها و أثرها في النفس"[1] في التركيب المعين في المقام المحدد، فليس من السهل تصور الفرق – مثلًا – بين الفعل"كسب واكتسب"خارج التركيب، ولكن الزمخشري يجلى ذلك بوضوح في السياق القرآني، يقول الدكتور محمد أبو موسى في البلاغة القرآنية"و يفرق [أي: الزمخشري] بين دلالة (فعل) و (افتعل) ويشير إلى ما فيها من معاني الاهتمام و الاعتمال... يقول في قوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[2]:"فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، و لما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال"[3].

وعلى ذلك فإنَّ تلك الزفرات الحارة التي كان يصعدها أبو العلاء حين وصل إلى المعرة مفتقدًا من كان يرجو لقاءه ويحرص أشد الحرص على وداعه و التزود منه – فيما نرى – قد دفعته دفعًا للتعبير عن ذلك بالجملة الفعلية لما فيها من حركة وإلهاب تُوافِق ما يختلج في بواطنه من إحساس بالألم وشعور بالحزن، ثم نكَّر الشاعر الفاعل في هذه الجملة تعظيمًا لقدره وإجلالًا له، فليس

[1] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، ص284.

[2] سورة البقرة، الآية 286.

[3] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: محمد أبو موسى، ص284.

تنكير (أم) في البيت للإبهام لأن كل من يقرأ القصيدة سيدرك بغير أدنى جهد أن أبا العلاء يتكلم عن أمه التي ولدته و التعظيم عن طريق التنكير له أمثلة كثيرة في النصوص الفصيحة منها قوله تعالى في الذكر الحكيم ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾[1] فتنكير نائب الفاعل (رسل) في الآية الكريمة لغرض التعظيم و التكثير، قال الزمخشري:"فإن قلت: ما معنى التنكير في رسل؟ قلت: معناه: فقد كذبت رسل، أي رسل ذوو عدد كثير. وأولوا آيات و نذر. وأهل أعمار طوال و أصحاب صبر وعزم، و ما أشبه ذلك، و هذا أسلى له، وأحثّ على المصابرة"[2] و قال القزويني:"أي رسل ذوو عدد كثير و آيات عظام و أعمار طويلة و نحو ذلك"[3] و الله تعالى أعلم.

و مما ورد في هذا التركيب أيضًا قوله:

وَ هَدى لَها قَدرٌ أُتيحَ بِسُدفَةٍ *** صَقرًا فَفَجَّعَ بِالهَديلِ هِدالَها[4]

من مقطع أوله:

تدري الحمامةُ حين تهتف بالضحى *** أن الأجادل لا تطيل جدالها

و هَدَى لها قدرٌ أتيح بسدفةٍ *** البيت.....

---

[1] من الآية 4 من سورة فاطر.

[2] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، جـ3، ص 603، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت..

[3] الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ص65، قدم له و بوبه و شرحه الدكتور علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط2، 1991م.

[4] ديوان لزوم ما لا يلزم جـ2، ص 215. و السدفة : الظلمة، و الهديل: صوت الحمامة، و الهدال: ما تدلى من الأغصان، و المعنى: أتاح لها القدر، ليلاً، صقراً مفترساً ترك الأغصان بعدها في حزن شديد. ينظر هامش الديوان جـ1، ص 215 ولسان العرب جـ4، ص 583، مادة (س د ف).

و جملة الفعل الماضي هي قوله:"و هدى لها قدر أتيح بسدفة صقرًا"، فـــ(هدى): فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمعلوم مذكر و فاعله اسم ظاهـــر نكرة و هو (قَدْرٌ) و (صقرًا) مفعول به و قد فصلت جملة (أتيح بسدفة) بين المفعول به وبين جملته وجملة (أتيح) هذه معترضة لا محل لها من الإعراب أو تكون صفة لـــ (قَدر) و الله أعلم.

واستعمال الضمير في قوله: (و هدى لها) قد أدى إلى نتيجتين:

الأولى: الإيجـــــاز، حيث لم يشـــأ الشاعر تكرار الاسم الظاهر"الحمامة"ليقول – مثلًا – (و هدى للحمامة).

الثانية: أحدث اتصال الضمير بالجار و المجرور في مطلع البيت (وهدى لها) شبه تعادل بين هذا الفعل الذي بدأ به البيت و مفعول الجملة المعطوفة الذي ختم به البيت (هدالها).

و قد ملأ حشو البيت بعدد من الأفعال و المجرورات لتحقيق هذا الـــــدور الإيقاعي (أتيح ـــــ بسدفة ـــــ ففجع ـــــ بالهديل)، و أخر مفعول الجملة الثانية (هدالها) لأجل القافية.

و قد انبنى سائر هذا البيت على جملة الفعل الماضي هذه التي فاعلها اسم ظاهر نكرة و هي: (و هدى لها قدر أتيح بسدفةٍ صقرًا).

و ذكرنا – فيما سبق – أن المفعول في (أمتني) تقدم على الفاعل وجوبًا، وكذلك في قوله:

فصرَّفني فغيَّرني زمانٌ *** سيعقبني بحذفٍ و إدِّغام[1]

و ذلك لمجيء المفعول ضميرًا و الفاعل اسم ظاهر كما تقدم، و الضمير في كلتا الجملتين المتقدمتين ياء المتكلم، وجاء الضمير (الهاء) مفعولًا بذات الترتيب في قوله:

[1]ديوان لزوم ما لا يلزم، ص 41.

وكَ فَرَّها لَيلٌ تَرَهَّبَ شُهبُهُ *** تُخالُ يَهودًا عاقَ عَن سَيرِها السَبتُ[1]

و قوله:

و هيجَها قَولٌ يُقالُ عَنِ الحِمى *** وَ ذاكَ حَديثٌ ما مُحَدِّثُهُ ثَبْتُ[2]

فالضمير الهاء في البيتين تقدم على الفاعل الظاهر وجوبًا

و من موجبات تقدم المفعول به على الفاعل أيضًا:

- إذا كان الفاعل محصورًا بإنما نحو: (إنما ضرب عمرًا زيد)، هذا بخلاف المحصور بإلا؛ فإنه لم يتفق على تأخير المحصور بها.
- و يتقدم المفعول على الفاعل أيضًا إذا اشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر نحو: (خاف ربَّه عمر)، و شذَّ العكس أي: اشتمال الفاعل لضمير يرجع إلى المفعول المتأخر نحو:"زان نورُه الشجر"، و هو ما عبر عنه ابن مالك في الألفية بقوله:

وشاعَ نحو: (خافَ ربَّهُ عُمَر) *** و شَذَّ نحو (زانَ نورُهُ الشَّجَر)

و يمكن تلخيص أهمَّ الملاحظات النحوية في هذا التركيب في شعر أبي العلاء على النحو التالي:

1/ الفصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول به وحده نحو قوله: (فغيرني زمان) و قوله: (و كفرها ليل) و قوله: (و هيجها قول) من الأبيات المتقدمة.

2/ الفصل بين الفعل و الفاعل بالجار و المجرور وحدهما نحو قوله: (و هدى لها قدرٌ أتيح بسدفة صقرًا)، فقد فصل الجار و المجرور (لها) بين الفعل (هدى) و فاعله المُنَكَّر (قدرٌ).

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم، جـــ1، ص 173.

[2] ديوان لزوم ما لا يلزم، جـــ1، ص 173.

3/ الفصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول به مع غيره و مثاله مما تقدم قوله: (و أمتني إلى الأجداث أمٌّ)، فقد فصل الضمير في (أمتني) و الجار و المجر (إلى الأجداث) بين الفعل (أمَّ) و فاعله (أمٌّ).

4/ ندرة التزام أبي العلاء بالموقعية الأصلية للجملة الفعلية التي فاعلها نكرة، فقلَّما نجد في شعره في هذا التركيب جملة على نحو (ضرب رجلٌ غلامًا) كما ذكرنا دون أن يتقدم عنصر من هــذه العناصر على آخر أو يفصل بينهما فاصل مع أن ذلك كثير في شعره في غير هذا التركيب من ذلك قوله في نمط الفاعل المعرفة:

لَحا اللَهُ غاراتِ السِنينَ فَإِنَّها *** مُبَدِّلَةٌ ظِلِمانَها بِرِيالِ[1]

فأنت ترى هنا ترتيب عناصر الجملــة الفعلية قد جاء على أصله، فــ(لحا): فعلٌ ماضٍ، والاسم الكريم في محل رفع فاعل، وغارات: مفعول به منصوب و علامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم و هو مضاف والسنين مضاف إليه.

والسؤال إذن ما علاقة الخروج عن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية بالتنكير في شعر أبي العلاء؟

ويرجح أن تكون لدواعي الخروج عن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية علاقة بالوزن إلا أن ذلك كله لا ينحصر في هذا الغرض من تراكيب هذا النمط؛ فكثير من ذلك يوظف – إلى جانب الوزن – لتأدية بعض المعاني والدلالات التي ربما لا تتحقق بسواه على نحو حديثنا عن قوله:

و أمَّتْني إلى الأجْــداثِ أُمٌّ *** يَعِزّ عَلَيّ أنْ سارَتْ أمامي

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم جــ2، ص 239. و لحاها: أي قبحها ولعنها، و الظِلمان: جمع ظَلِيم، و هو ذكَرُ النعام. ينظر لسان العرب، جــ1، ص 51. مادة (ظ ل م)، و هامش الديوان جــ2، ص 239.

فالغرض الموسيقى الذي تم تحقيقه من خلال تقديم الجار و المجرور (إلى الأجداث) في جملة الفعل الماضي التي أنبنى عليها هذا البيت لا يُخْفي بحال من الأحوال قوة الدلالة التي أداها هذا التقديم، و ذلك لأن الشاعر أراد – قبل الاسترسال في الخبر – أن يعلم القارئ أولًا أن من يقوده في هذه الخطوات إنما يقوده إلى القبور لا إلى جنة وارفة الظلال ولا إلى قصر منيف و لا دار رحبة، فالخطب جلل و المصاب عظيم وذلك لأنه لا يقود إلى القبور إلا الموت ومن هنا تتجلى ضرورة وقوع الجار والمجرور في هذه الرتبة لإضافة هذا المعنى مع العلم بأن الجار والمجرور في هذا الموضع واجب وقوعه لتشكيل بناء تفاعيل صدر البحر الوافر ولا يستقيم الوزن بغيره بهذه الكلمات المؤلفة لهذه الجملة، ولكن رغم ذلك لا يمكن وضع أهمية الوزن هنا فوق قوة الدلالة هذه، لأن الوزن إن لم يضطرب بهذه الكلمات فقد يستقيم بغيرها والله أعلم. أمّا الدور الإيقاعي الذي أداه التقديم و التأخير في قوله:

شكا خُزَزٌ حوادثَها و ليثٌ *** فما رُحِمَ الزئيرُ و لا الضغيبُ[1]

فظاهر لا يخفي، فجملة: (شكا خُزَزٌ حوادثَها و ليثٌ) تأخَّرَ فيها (ليث) إلى ما بعد المفعول به و حقُّه أن يلي الفاعل لأنه معطوف عليه ومشترك معه في الحكم واللفظ لكن الوزن هو الذي اقتضى هذا الترتيب ولا أظن شيئًا غير ذلك قد حمل الشاعر إلى هذا الخروج و الله تعالى أعلم.

[1]ديوان لزوم ما لا يلزم جـــ 1، ص 95، و الخُزَز: ذكر الأرنب، و الضغيب صوتها. يريد: أن الجميع يشكون مصائب الحياة ضعيفها و قويها، أرنبها و أسدها، و هي لا ترحم غضب القوي و لا تلتفت إلى توسلات الضعيف، لا تبالي بصوت الأسد أو صوت الأرنب: ينظر هامش الديوان جـــ1، ص95 ولسان العرب مادة (خ ز ز) جـــ1، 434 ومادة (ض غ ي ب) جـــ1، ص 551

وإن كان التنكير فيما تقدم قد أدى ذاك الغرض فإنه أيضًا يؤدى أغراضًا أخرى في مواضع كثيرة في شعره، فللتنكير دلالات و معانٍ عديدة في الأساليب الفصيحة، يقول الزمخشري في قوله تعالى:﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[1]، ونكر"هدى"ليفيد ضربًا مبهمًا لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانًا: لأبصرت رجلًا"[2]، ويقول الدكتور محمد أبو موسى:"قول لبيـــد:"أو يعتلق بعض النفوس حِمامُها"أراد بـــ (بعض) نفسه وإنما قصد تفخيم شأنه بهذا الإبهام كأنه قال: نفسًا كبيرة ونفسًا أي نفس"[3] و البيت من معلقة لبيد بن ربيعة[4] وذاك عجزه وصدره"تَرّاكُ أَمكِنَةٍ إِذا لَم أَرضَها"[5].

قال الزوزني[6] في شرحه:"ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقد أخطأ لأن بعض لا يفيد العموم و الاستيعاب"[7]، و يقول الزمخشري في قوله

---

[1]- سورة البقرة، من الآية 5.

[2]-الكشاف: الزمخشري، ج1، ص35.

[3]- البلاغة القرآنية: د. محمد أبو موسى، ص316.

[4]–لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، و أسلم، و يعد من الصحابة، و من المؤلفة قلوبهم. و ترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، قيل: هو"ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه *** و المرء يصلحه الجليس الصالح"و هو أحد أصحاب المعلقات. و مطلع معلقته:"عَفَتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها *** بمنىً، تأبَّد غَولُها فرجامُها "توفي سنة 41هـــ. ينظر الأعلام: الزركلي، جـــ5، 240.

[5]– شرح المعلقات السبع: تأليف أبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، ص151، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د ط، د ت.

[6]- هو الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، أبو عبد الله، عالم بالأدب، قاضٍ، من أهل زوزن"بين هراة و نيسابور"له شرح المعلقات السبع، و المصادر، و ترجمان القرآن بالعربية و الفارسية، الأعلام: خير الدين الزركلي، ج2، ص231

[7] شرح المعلقات السبع: الزوزني، ص151.

تعالى:﴿ تِلْكَ الرُّسُــلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1]:"و الظاهر أنه أراد محمدًا لأنه المفضل عليهم، و في هذا الإبهام من تفخيم فضله و إعلاء قدره ما لا يخفي لما فيــه من الشهادة على أنــه العلم الذي لا يشــتبه و المتميز الذي لا يلتبس و يقال للرجل: من فعل هذا؟ فيقول: أحدكم أو بعضكم، يريد الذي تعورف و اشــتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح و أنوه بصاحبه"[2].

و كذا تلمح شيئًا من هذا في بعض تراكيب أبي العلاء في هذا النمط كقوله:

جاءَت مِنَ الفَلَكِ العُلويّ حادِثَةٌ *** فيها اِستَوى جُبَناءُ القَومِ و اللَيسُ[3]

و الحادثة هنا أراد بها يوم الحشر وليس يوم الحشر بخفي حتى يجعل منكورًا و لكن الشاعر أراد لفت الانتباه و الإثارة بهذا الإبهام"و الإبهام عنصر من عناصر الإثارة في الكلام"[4].

---

[1] سورة البقرة، الآية 253.

[2] الكشاف: الزمخشري، ج1، ص226.

[3] ديوان لزوم ما لا يلزم، جــ1، ص 617. و الليس: الشجعان. ينظر لسان لعرب، جــ6، ص210، مادة (ليس).

[4] البلاغة القرآنية: د. محمد أبو موسى، ص315.

الخاتمة:

تنوعُ تراكيبِ الجملة الذي وقفنا عليه من خلال هذه الدراسة يدل دلالة كبرى على قدرة الشاعر الفائقة في توظيف مفردات اللغة للتعبير عن معانيه؛ بفضل سعة معارفه وعمق مداركه بأسرار هذه اللغة و قدرته على التحكم في التأليف و الصياغة و المهارة في التصريف في المواد اللغوية التي يستخدمها، و نستطيع أن نخلص من هذا البحث إلى النتائج الآتية:

ندرة ارتكاب الضرورات الشعرية التي تسمح بالتجوّز في بعض القواعد النحوية فالقارئ المتتبع لقصائده يكاد لا يظفر – إلا في مواضع قليلة جدًّا – بخفض مرفوع أو صرف ممنوع من الصرف أو نحوها.

أكثر الخروج عن الأصل فى ترتيب عناصر الجملة فى شعره يرد بغرض تحقيق معانٍ إضافية، كما ظهر توظيفه لبعض المفردات توظيفاً يختلف عن ما شاع في الشعر بصورة عامة ككثرة استخدامه للضمير أنا و نحن في غير الفخر و تعظيم الذات الفردية و الجماعية، فلا تجد الضمير (أنا) – مثلًا– مبتدأ به إلا و وجدت الخبر غالبًا مملوءًا بالحزن و إظهار الأسى و التضجر من الناس و الدنيا و الزمان، و قد حاولنا إيجاد تفسير لذلك فى بعض المواضع.

تلك بعض النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة.

التوصيات:

و ختامًا نوصى بالآتي:

محاولة ربط الدراسات النحوية التي تتخذ الجملة أو التركيب ميداناً لها بالدلالات المعنوية التي يقصد إليها الشاعر أو الكاتب بهذا التركيب أو ذاك، لما فيها من فوائد عديدة تمكن الباحث من كشف كثير من جماليات التعبيرات السليمة في إطارها الصحيح كما يسهم ذلك بقدر كبير في كسر حاجز العزلة بين كثير من الناس و بين المادة النحوية التي وُصفت بالجمود و التعقيد و الصعوبة.

المصادر و المراجع:

1 ــ أبو العلاء المعري و عقيدته: المرحوم أحمد تيمور باشا، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر – القاهرة، دط، 1940م.

2 ــ أسرار العربية: كمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سورية 1957م.

3 ــ الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة – أيار / مايو 2002م.

4 ــ الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، قدم له و بوبه و شرحه الدكتور علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط2، 1991م.

5 ــ البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها و صور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف و تليد، تأليف و تأمل: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق و الدار الشامية بيروت، ط1، 1426هـ-1996م.

6 ــ تجديد ذكرى أبي العلاء: طه حسين، مطبعة المعارف، مصر ط3، 1937م.

7 ــ تعريف القدماء بأبي العلاء: طه حسين، الدار القومية للطباعة و النشر القاهرة 1965م.

8 ــ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، حققه و قدم له الدكتور محمد رضوان الداية و الدكتور فائز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، سوريا، ط2، 1407هـ-1987م.

9 ــ ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه و قدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1407هـ ــ 1987م.

10 ــ ديوان سقط الزند: أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، دط، دت.

11 ــ ديوان لزوم ما لا يلزم: أبو العلاء المعري، برواية الإمام التبريزي، و مراجعة الإمام أبي منصور بن الجواليقي، تقديم وشرح وفهرست: وحيد كبابة و حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1425هـ ــ 2004م.

12 ــ شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، مكتبة الرياض الحديثة، دط، دت.

13 ــ شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.

14 ــ كتاب سيبويه بتعليق و تحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان، ط1 1420 هـ - 1999م.

15ــ الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت.

16 ــ لسان العرب: ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1410 هجرية، 1990م.

17 ــ معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.

18 ــ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هاشم الأنصاري، حققه مازن المبارك ومحمد على حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ-1999م.

19 ــ النحو الوافي : عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، دت.

20 ــ النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري، (رسالة ماجستير) إعداد ميسون محمود فخري، إشراف أ.د. إبراهيم الخواجة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين 1426هـ، 2005م.